

فَسَاطَةُ الْمَرْأَةِ

فِي أَعْمَالِ الْخِدْمَةِ الاجتماعيةِ

بقلم السيدة زاهية مرزوق

كثيرا ما طالبت المرأة المصرية بحقوقها المدنية والاجتماعية والسياسية، وكثيرا ما كلفت وناضلت لاتراع هذه الحقوق من الرجل ، ولكنها نسيت أن تعد نفسها الاعداد الصحيح الذي يمكنها من نيل هذه الحقوق بدون نضال أو كفاح . حقيقة أننا كمصريات لنا حقوق يجب أن ننالها ولكن في الوقت نفسه علينا واجبات يجب أن نؤديها ، وفي رأي أنه لا يمكننا رفع صوتنا للمطالبة بهذه الحقوق قبل أن نقوم بتأدية هذه الواجبات . وواجب المرأة بسيط في ظاهره خطير في باطنه . بسيط لأنه يشغل حيزا صغيرا من الحياة ، وخطير لأن طيه يتوقف كيان الأمة ومستقبلها . على المرأة أولا أن تمتد الأمة بأبناء صالحين قادرين على الجهاد في الحياة ، والتغلب على الشدائد والكفاح في سبيل إسعاد الأمة وإنهاضها ، وهذه مسؤولية استهتر بها مع الأسف بعضنا وأهملها البعض الآخر ، فكانت النتيجة أن أخرجنا شبابا عاطلا يعيش عالة على الأمة والمجتمع .

على الأم أن تعرف كيف تدير مملكتها الصغيرة بكل حكمة وسداد ، طيبا أن تضع لها القوانين العادلة وتفرض العادات الصالحة في أفراد تلك الأمة الصغيرة التي يتكوّن من مثيلاتها مجموع الأمة الكبرى .

ولا تظنن إحداكن — سيداتي وآنسائي — أن الخدمة الاجتماعية معناها ترك المرأة لمنزلها وأولادها ونحروجها إلى الميادين الاجتماعية والعمل في الجمعيات الخيرية المختلفة ، لا ، وإنما الخدمة الاجتماعية الحقيقية هي ما تقوم به المرأة في محيطها الضيق . وإني أعتقد أن قيام المرأة بواجبها الأول على وجه النكال ، هو في حد ذاته أهم خدمة اجتماعية يمكنها أن تؤديها لمجموع الأمة . فإن قمت يا سيدتي بهذا الواجب في بيتك بين الخدم وبين أولادك وزوجك وأقاربك وجيرانك ومعارفك ، لا أمكك أن تحل مشاكل كثيرة لو تراكت لأصبحت مجموعة من المشاكل الاجتماعية المعقدة .

وكثير من الناس من يتوهم أن الخدمة الاجتماعية تنحصر في إعطاء المال للسائل أو الطعام للفقير ، والحقيقة أن الخدمة الاجتماعية عمل فني دقيق يتطلب الجهد أكثر مما يتطلب المال والعلم ، أكثر مما يتطلب العطف والحنان . فكل سائل يجب ألا يعطى ما يسأل بدون بحث يحدّد نوع المساعدة التي يحتاج إليها ومقدار أثرها في تقويم حياته . والا فإفادة القرض الذي يزول أثره بمجرد صرفه ، ويترك صاحبه في احتياج إلى غيره ؟ وقد يدهش البعض

إذا علم أن الإحسان في بعض الأحيان قد يكون ذا أثر سيء في المحسن إليه، وذلك كما حدث في حكاية "رجل الغنى الذي اعتاد الإحسان إلى أحد المتسولين فترة طويلة من الزمن، مما جعل هذا المتسول يركن في عيشته إلى هذا الرزق المستديم، فلما طرأ على المحسن ما حال دون استمرار الإحسان - توجه إليه المتسول في غضب شديد وتهديد قائلاً له: انك عودى الإحسان المتواصل فعودتى الكسل والانتكال على الغير، فلولا ما غمرتني به من عطف في بادئ الأمر لاضطرت لإيجاد عمل أقنات منه، وقد أفست على حياتي وأعجزتني عن كل شيء إلا السؤال، فواجب عليك أن تتحمل نتيجة عمالك وتتكفل بالصراف على أن أموت - واضطر الرجل تحت ضغط المتسول وتهديده ان يتكفل به ما بقى في حياته.

وإذا قم كل منا بعمله الخيري على انفراد بدون النظر لمجهود الآخرين وبدون مراعاة للاحية البر التي يميل إليها أو التي تملحها عليه الظروف في دائرته، لما أمكن تنظيم تلك الأعمال ولا إظهار أثرها في المجتمع. فتوحيد الجهود وتنظيم الأعمال البر ووضعها على أساس فني صحيح، أنشئت الجمعيات الخيرية وقامت بمساعدتها الاجتماعية في النواحي المختلفة بحيث اختصت كل جمعية بالاحية التي يميل إليها مؤسسوها.

والخدمات التي يمكن أن يساهم كل منا في تأديتها للجمع كثيرة ومتشعبة - ويجب قبل البدء في المساهمة فيها بطريق مباشر أو غير مباشر فهم أغراضها والقواعد التي تقوم عليها. فهناك الخدمة الاجتماعية للعائلات الفقيرة، وبحث حالة كل أسرة على حدة ومعرفة نوع احتياجها ومقداره، وهل تكفى المساعدة المادية المؤقتة أم يجب البحث عن عمل لرب الأسرة أو للأفراد القادرين منها، كما يجب أن تمنح الأطفال عناية خاصة فتبحث حالتهم التعليمية وهل حرموا من التعليم نتيجة لفقر الأسرة فتبحث في علاج هذه الأمور، كما يوجه كل شخص في الأسرة إلى الوجهة التي تلائمهم.

وهناك الخدمة الاجتماعية الطبية في المستشفيات وخارجها. وهذا النوع من الخدمة الاجتماعية لا يقصد منه التمريض فقط بل العمل على ربط العلاج الطبي بالمشاكل الاجتماعية وحلها ليسهل على المريض إتمام علاجه وتقدم حالته حتى لا يعاوده المرض. وهي تشمل الترفيه عن الأطفال المرضى والشيوخ المسنين بجميع أنواع التسلية لتخفيف آلام المرض والشيوخة عليهم. وهذه الخدمات الطبية تختلف طبعا باختلاف نوع المرض وسن المرضى فالخدمة الاجتماعية مع مرضى السل تختلف عن الخدمة الاجتماعية مع مرضى الزمد وعن الخدمة الاجتماعية مع مرضى الأمراض السرية وهكذا.

وهناك الخدمة الاجتماعية للأطفال، ففي الملاهي مثلا، يمكن المساعدة في تسلية الأطفال اللاجئين وتمضية أوقات فراغهم، وكذلك تمكن مساعدة الملجأ في إيجاد طريق للتخرجين منه وتبصير حالاتهم بعد التخرج، وفي مراعاة رعاية الطفل ودور الحضانه يمكن القيام بخدمات للأطفال لا تحصى.

وهناك الخدمة الاجتماعية العمالية وخصوصا في المصانع التي تعمل فيها النساء، فيمكن العمل على ضمان عدم اهدق العاملات بكثرة ساعات العمل مع قلة الأجور، ويمكن مساعدة العاملات المتعبات بتوفير طعام صالح ورخيص لهن . كذلك يمكن العمل على إيجاد دار لإيواء أطفال العاملات أثناء تغيبهن في عملهن بدلا من تركهن في الشوارع يصابون بالأمراض ويختلطون بالأمشجار ، ويمكن أيضا المساعدة في عمل رحلات رخيصة لتمضية أوقات العاملات في الإجارات وغيرها .

وهناك الخدمة الاجتماعية بين الفتيات في الأحياء الفقيرة بإنشاء محلات لهن يتعلمن فيها رقى الاخلاق وتهذيب الذوق وخير الطرق لتمضية أوقات الفراغ ، ويمكن كذلك الاتصال بمنزلهن لبحث البيئة التي يعشن فيها ومساعدتهن بالارشاد الى وسائل ترقيتها . ويمكن أيضا إيجاد مكان لإيواء الفتيات المشتغلات البعيدات عن أهلهن حتى يكون ذلك ضمانا لصيانة أخلاقهن وإبعادا لهن عن الفساد .

وهناك الخدمة الاجتماعية وقت الحروب ، ولا يقصد بذلك العمل في المستشفيات ومراكز الإسعاف فقط ، بل الجزء الأكبر منها يختص بالخدمة الاجتماعية بين الجنود في الميدان ، وذلك الترفيه عنهم بإرسال بعض الكاينات اليهم كالكتب والمجلات والسجائر وغير ذلك مما يخفف عنهم بعض ما يقاسونه من التعب والوحشة . وهناك ناحية مهمة جدا وهى موااساة عائلات الجنود المصابين أو المتوفين وتخفيف وقع مصابهم عليهم بتقديم المساعدة التي يحتاجون اليها . أما المتاعب الاقتصادية التي تنشأ عن الحروب كارتفاع أسعار المعيشة والتعطل عن العمل وغير ذلك فيمكن العمل على تخفيف نتائجها .

وهناك الخدمة الاجتماعية في الجمعيات الخيرية المختلفة ، فالعمل في هذه الجمعيات يتطلب مجهودا وخبرة فنية بنواحى الخدمات الاجتماعية التي بنيت عليها أغراض الجمعية ، فضلا عن الأعمال الادارية وتنظيم الاجتماعات وإقامة الحفلات لجمع المال والاشراف على المصروفات وغير ذلك . يتضح لكن مما تقدم أن الخدمات الاجتماعية ليست من السهولة بحيث يتصورها كثير من الناس ، وإنما هي فن دقيق محتاج الى دراسة وإلى تدريب عملي طويل . ولذلك أنشأت مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة دراسة نهائية للسيدات والآنسات المتطوعات اللاتي يرغبن في أداء هذا الواجب نحو أمتن . وسوف يكون المجال متسعا لتبادل الآراء والأفكار والنظريات العلمية عن الميادين المختلفة للخدمة الاجتماعية كما سيطبق العلم على العمل بزيارة المنشئات والجمعيات الخيرية المشتغلة بالخدمة الاجتماعية .

والأمل شديد في أن يزداد أقبال سيدات مصر وفتياتها على هذا الميدان البكر في هذه البلاد حتى تصبح لديهن المقدرة العملية والفنية عن طريق دراستهن على تحقيق الغرض المنشود على الوجه الأكمل . والله يوفقنا جميعا إلى ما فيه الخير والسلام .

زاهية مرزوق